النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط ودوره في نشأة وتطور المدن الساحلية للمغرب الأوسط (دراسة نماذج بعض المدن من خلال الكتابات الجغرافية)

أة. خديجة بورملة*

أ.د عبد القادر بوباية*

مقدمـة: يهدف هذا المقال إلى محاولة دراسة أثر النشاط البحري الأندلسي بحوض البحر المتوسط في تشكل بعض المدن الساحلية للمغرب الأوسط، وذلك بالاعتماد على المصادر الجغرافية باعتبار أنها تحوي مادة تاريخية هامة تصف أقاليم ومدن المغرب الأوسط، وتدرس المجال والدور الذي تلعبه المجموعات البشرية في تشكله، مع استبيان مدى قدرة هذه المصادر على الإجابة عن كثير من الأسئلة المتعلقة بالموضوع.

ومن هنا فإن دراسة أثر النشاط البحري الأندلسي في حوض المتوسط في نشأة وتطور بعض المدن الساحلية للمغرب الأوسط يقودنا إلى جملة من التساؤلات تتمثل خصوصا في الدور الذي لعبه البحارة والتجار الأندلسيون في تعمير مدن المغرب الأوسط أو بصيغة أخرى: ما هي الآثار الناتجة عن النشاط البحري الأندلسي في حوض البحر المتوسط عموما، وفي سواحل المغرب الأوسط على وجه الخصوص؟

نشأة البحرية الأندلسية: في البداية سأتطرق إلى نشوء البحرية الأندلسية وكيفية تشكل الأسطول الأندلسي– باعتبار أن الأسطول والتحكم في البحرية هو الذي قاد البحارة والتجار الأندلسيون إلى سواحل المغرب–، حيث لم يكن للمسلمين منذ أن افتتحوا الأندلس أسطول بحري حربي منظم

*أستاذة مساعدة ب في التاريخ الإسلامي– شعبة التاريخ–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة مصطفى اسطمبولي– معسكر، وعضو باحث في مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

*أستاذ في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار–كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، ومدير مختبر تاريخ الجزائر– جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

قبل أن يشرع الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط[1] في بناء دار الصناعة باشبيلية[2] سنة 230هـ، وهذا راجع لانشغال أمراء بني أمية بالثورات الداخلية والحروب مع الممالك المسيحية في الشمال، فأهملوا صناعة الأسطول إلى أن فوجئوا بالغزوة النورمندية[3] سنة 229هـ، وتنبهوا وقتئذ إلى نقطة الضعف في نظامهم الدفاعي البحري[4].

غير أن ذلك لم يمنع من قيام جماعات من البحريين من أهل الأندلس بالاشتغال بالتجارة فيما تنتجه الأندلس زراعيا وصناعيا أو القيام بغزو السواحل الافرنجية وجزر البحر المتوسط، وكان المركز الرئيسي لهؤلاء البحريين يقع ما بين طرطوشة[5] وبلنسية[6] على الساحل الشمالي الشرقي من الأندلس[7]، ومركز آخر في الساحل الشرقي الجنوبي وتحديدا في مرية بجانة[8]، ويرجع بداية اشتغال الغزاة البحريين بأعمال الغزو على سواحل ايطاليا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية واقريطش إلى أيام الحكم الربضي[9]، ولكن ينبغي أن نشير هنا إلى أن أعمال هؤلاء الغزاة لم تكن بموافقة رسمية من حكومة قرطبة[10].

وقد "تحدثت المصادر اللاتينية بإسهاب عن هذه الغارات ووصفت أصحابها بالقراصنة، والواقع أن أعمال القرصنة في ذلك الوقت لم تكن قاصرة على المسلمين وحدهم، بل كانت شائعة بين المسيحيين والوثنيين والنورمانديين أيضا، وكثيرا ما استعان أمراء الأندلس بخبرة رعاياهم البحريين في حماية سواحلهم وقيادة أساطيلهم"[11].

فكما اعتمد الأمويون في الشام على القبائل اليمنية الكلبية في أعمالهم البحرية، فكانوا النواة الأولى للبحرية العربية في الشرق، اعتمد كذلك الأمويون في الأندلس على اليمنيين القضاعيين في هذا المجال، فأنزلوهم في المناطق الساحلية الشرقية، وأسندوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، وقد سمي هذا الإقليم أرش اليمن أي أعطيتهم من الأرض أو الإقطاع، وكانت بلدة بجانة بالقرب من المرية، هي أهم قاعدة لهم في هذا الإقليم الشرقي لما تمتاز به من موقع حصين مأمون، وأرض خصبة عند مصب وادي بجانة، وإلى جانب هذه العناصر العربية اليمنية، اعتمد الأمويون كذلك في حماية سواحلهم، على جماعات بحرية أندلسية من المولدين والبربر والمستعربين الذين كانوا يتكلمون بعجمية أهل الأندلس، وانتشر هؤلاء البحريون في بلدان الساحل الشرقي الأندلسي التي كانت تعرف أيضا باسم البلاد البحرية، وكانت لهم فيها مراسي ورباطات ودور صناعة، كذلك

انتشر هؤلاء البحريون في بعض جهات الساحل الإفريقي الشمالي على شكل جاليات أندلسية متفرقة[12].

وهكذا نجد أن أول عامل أساسي في نشوء البحرية الأندلسية هو تركيبة المجتمع نفسه، وما يحمله من موروث في هذا الميدان: من مولدين أهل البلاد الاسبانية، وعرب اليمن الذين استوطنوا الأندلس، وهم معروفون منذ زمن بعيد بحضارتهم وركوبهم البحر... ومن هنا كان الاهتمام الأول بالبحر صناعة جماهير من الطموحين والمغامرين ولم يكن صناعة رسمية، حتى أصبحت هذه الكيانات أشبه ما تكون بالجمهوريات البحرية، تولت حراسة السواحل الأندلسية من خطر النورمان وغيرهم، وتولت إدارتها بيوتات عريقة كأسرة بني سراج القضاعية اليمنية وبني الأسود الغسانيين وبني رماحس وغيرها[13].

وعلى هذا الأساس نستنتج مما سبق ذكره أن الأندلس كانت تضم قواعد بحرية ينتجعها جماعة من البحريين الذين كانت لديهم خبرات متوارثة في شؤون البحر، وأن هؤلاء كانوا يشتغلون إما بالتجارة بين المغرب والأندلس أو بالغزو البحري.

أما الاهتمام الرسمي بصناعة الأسطول فقد كان على عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد المعروف بعبد الرحمن الأوسط، حيث أظهر هذا الأمير اهتماما جديا بالأساطيل البحرية، فعمد إلى إنشاء أسطول قوي يدفع به عن الأندلس الأخطار الخارجية وينازع به السيادة الفاطمية في حوض البحر المتوسط الغربي، ونشطت حركة الإنشاء وصناعة السفن في عهده إلى حد أنه أنشأ لهذا الغرض عددا كبيرا من دور الصناعة في مدن الأندلس مثل: المرية وطرطوشة، الجزيرة الخضراء، مالقة، لقنت، شلب، قصر أبي دانس، دانية، مدينة الزهراء، شنتمرية بالبرتغال[14].

ومما ساعد على ازدهار هذه الصناعة هو غنى بلاد الأندلس بالمواد الضرورية لصناعة الأساطيل، حيث تم استخدام خشب أشجار طرطوشة الصنوبرية في صناعة السفن، وهو مشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من السوس[15]، ومنه كانت تصنع ألواح السفن والصواري والمجاذيف وخشب الطخش لصناعة القسى والسلاليم وبعض الرماح والتروس، ومعدن الحديد اللازم لعمل المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف أو الكلاليب والعرادات والفؤوس واللتوت والدبابيس والجواشن وغير ذلك من الآلات والأسلحة، والنحاس الذي تصنع منه السلاسل،

والألياف لعمل حبال المراسي، والقطران والزفت لقلفطة السفن حتى لا تؤثر المياه في ألواحها المغمورة في البحر، والقطران والكبريت اللازمان لصناعة النفط البحري وهو نوع لا ينطفئ إذا سقط في الماء، والقطران والكتان اللازمان لصناعة النار الحارقة[16].

وقد كان لميلاد البحرية الأندلسية نتائج هامة لأن الأسطول الأندلسي لم يلعب دورا خطيرا في فتح جزر ميورقة ومنورقة ويابسة سنة 234 هـ فحسب، بل في تاريخ الأندلس وحوض البحر المتوسط بوجه عام، فدور الصناعة التي أسسها الأمير عبد الرحمن الأوسط كانت مقدمة لإنشاء دور أخرى لصناعة الأسطول في العهود التالية، وسيكون هذا الأسطول الساعد الأيمن لخلفاء قرطبة لغزو بر العدوة ومنافسة الفاطميين في شؤون البحر[17].

وهكذا يعتبر عبد الرحمن الأوسط المؤسس الحقيقي للأسطول الأندلسي، حيث يذكر ابن خلدون أن أسطول الأندلس انتهى في أيامه إلى مائتي مركب أو نحوها[18]، وأصبح في هذه الفترة (أي مطلع القرن الرابع الهجري) ندا لأسطول الفاطميين مفخرة البحرية الإسلامية لقرون، وأدى هذا إلى انحصار الصراع البحري في الحوض الغربي للمتوسط بين هاتين القوتين الاسلاميتين، وهكذا أوجدت قوة الأسطول الأموي قاعدة صلبة لتحركات تجار وبحارة الأندلس، لما وفر لهم من أمن في عرض البحر، فكسبوا خبرة فائقة في الملاحة البحرية مكنتهم من الوصول إلى شواطئ عديدة[19]، ومن بينها شواطئ المغرب الأوسط.

النشاط التجاري الأندلسي في سواحل المغرب: لا شك أن العلاقة بين الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى كانت علاقة قوية ومتينة في أغلب الأحيان، خاصة في عصر الولاة لأن الأندلس في ذلك الوقت كانت إمارة غير مستقلة تتبع أمير المغرب من الناحية الإدارية والسياسية، أما في عهد الدولة الأموية بالأندلس، فقد ظلت هذه العلاقة تتذبذب بين الشدة والفتور، وبين الحرب الباردة والاصطدام المسلح، متأثرة بالصراعات السياسية والمذهبية في المنطقة[20]، لكن قد يظن البعض أنه في حالة الاضطراب وسوء العلاقات السياسية تنقطع الروابط والعلاقات الاقتصادية، وإذا انطبق ذلك على بلد فإنه لا ينطبق على الأندلس، فرغم عدائها مع الكيانات السياسية في المشرق والمغرب كانت هناك رحلات تجارية بين الموانئ الأندلسية وموانئ الاسكندرية

والشام وصقلية والمغرب، وكانت هذه الرحلات منتظمة سنوية ونصف سنوية لا تلقي بالا للخلاف السياسي أو المذهبي[21].

لكن تجدر الإشارة هنا إلى العلاقة الودية التي جمعت الأمويين في الأندلس بالرستميين في المغرب، وذلك بغض النظر عن الاختلاف المذهبي بينهما، فبنو أمية سنيون، أما بنو رستم فهم خوارج إباضية، غير أن هذا المذهب يعتبر أكثر المذاهب الخارجية اعتدالا وأقربها إلى مذهب السنة، ولم تلبث هذه العلاقة السياسية أن أخذت طابعا قويا، وأحيانا مظهرا رسميا في كثير من المناسبات، إضافة إلى العلاقة الاقتصادية القوية التي ربطت بين البلدين، وهو ما جعل محاصيل تاهرت الزراعية تجد طريقا لها في كثير من المناسبات إلى مخازن قرطبة ولا سيما في سنوات المحن التي عانت منها الأندلس[22].

وفي الميدان التجاري كانت السفن التجارية تتردد بين الموانئ المغربية والأندلسية مثل ميناء فروخ بالمغرب الأوسط، ومرسى الجزيرة الخضراء وبجانة وشاطبة، وغيرها من الموانئ الأندلسية الممتدة على الساحل الجنوبي والجنوبي الشرقي، محملة بالمتاجر والعلماء والمسافرين[23]، وكيفما كان الحال فإن معظم الرحالة يشيرون إلى أن سكان المغرب والأندلس كانوا يتعاملون تجاريا بحرية وعلى نطاق واسع جدا وبدون قيد، والظاهر أن التوترات السياسية والاختلافات المذهبية التي كانت سائدة آنذاك في الغرب الاسلامي وشرقه، لم تكن لها تأثيرات على حركة التجارة بل من الثابت أن التجار المسلمين كانوا يجوبون بقوافلهم بحرية تامة من المغرب إلى المشرق ومن المشرق إلى المغرب وبلاد الأندلس، وأن السفن الأندلسية كثيرا ما كانت ترسو ببضائعها في الموانئ المغربية[24].

من جهة أخرى لعب الموقع الجغرافي والظروف المناخية المتشابهة لكل من الأندلس والمغرب دورا عظيما في ازدياد النشاط التجاري بين القطرين، حيث ربطت بين المغرب والأندلس خطوط بحرية منتظمة[25]، بسبب ضيق المسافة بينهما، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالا مباشرا بالساحل الأندلسي عند مضيق جبل طارق[26]، لذلك كان التبادل التجاري بين المغرب والأندلس كبيرا وسهلا ويسيرا نظرا للعلاقة المكانية بينهما، وهكذا كان حضور الأندلسيين في مراسي المغرب دائما أو مؤقتا[27].

ونظرا للتقارب بين المغرب والأندلس في عصر الإمارة، لم تكن هناك مدينة ساحلية مغربية تخلو من التجار الأندلسيين، كما عمل هؤلاء التجار كوسطاء تجاريين بين الأندلس والمغرب[28]، حيث عرف الأندلسيون بالملاحة التجارية والتنظيم التجاري المحكم، فقد قامت على الشاطئ الشرقي للأندلس عشرات المراكز البحرية ومراكز الأسواق ودور صناعة السفن الخاصة لأن التجار كانوا يأتون إلى الأندلس ببضائع المشرق التي يحتاج إليها خلفاء قرطبة والعكس صحيح[29].

وفضلا عن التبادل التجاري مع مدن بلاد المغرب، كان للحجاج الأندلسيين دورا كبيرا في تفعيل النشاط التجاري بين العدوتين بالرغم من أنه كان موسميا، فكان هؤلاء يحملون معهم البضائع الثمينة والغالية، وغالبا ما كانت تصرف في أسواق المدن المغربية التي يمرون بها سواء تنس، وهران، أو في القيروان وبرقة[30].

ومما شجع على هذا النشاط التجاري الواسع للتجار الأندلسيين هو غنى بلادهم من الناحية الاقتصادية، فالأندلس بلد زراعي قبل كل شيء، وبدأت الزراعة بالازدهار نتيجة اهتمام الدولة بهذا المورد الهام فحسنت أحوال الفلاحين وأسقطت بعض الضرائب عنهم، وهيأت لهم ظروف زادت من استغلال الأرض وزيادة الإنتاج، واشتهرت الأندلس بزراعة القمح والزيتون وأنواع الفاكهة، فضلا عن غاباتها التي تعد مصدرا مهما من مصادر الثروة والمادة الأولية لكثير من الصناعات والثروة الحيوانية والسمكية التي اشتهرت بها مناطق واسعة من الأندلس[31].

كما استغل الأندلسيون الثروات الطبيعية فاستخرجوا المعادن المختلفة كالذهب والفضة والرصاص والحديد والزئبق والبلور والكبريت والملح من مناطق متفرقة من الأندلس[32]، وبهذه الثروات بلغ المجال الصناعي شأوا كبيرا، خاصة على عهد عبد الرحمن الأوسط إذ عم البلاد الهدوء والاستقرار، ومن بين الصناعات التي اشتهر بها الأندلسيون في ذلك الوقت صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية، وصناعة الخزف والتحف الذهبية والفضية، والمصنوعات الجلدية والدروع والخوذ، وأنواع أخرى من الأسلحة، وقد اشتهرت مدينة طليطلة بصناعة السيوف، وكانت أكثر الجهات تقدما في الصناعة والزراعة هي الركن الجنوبي الشرقي من العدوة الأندلسية أي الجزء المواجه للبحر والمقابل لبلاد المغرب وافريقية، وأهمها مدينة المرية التي تعتبر من أنشط الموانئ الأندلسية في الحركة التجارية مع العا لم الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي، ولما كانت تتمتع به من صناعة مترفة في

الأقمشة الحريرية الثقيلة المنسوجة بالذهب، فقد وجد بها نحو ثلاثمائة حرفة من نسيج الحرير، ولا شك أن هذه المصنوعات كانت تجد رواجا في أسواق العالم الإسلامي[33].

وقد نتج عن هذا التقدم في المجالات الزراعية والصناعية والتجارية أن أصبحت مدن الأندلس مراكزا اقتصادية مهمة للتجار والبضائع من جميع مناطق البحر المتوسط، فقد كانت تلك المدن أسواقا للتجار الأندلسيين والأجانب، يقومون بأعمال التجارة البعيدة المدى أو الدولية، وكان التجار وبضائعهم ينتقلون بحرية على امتداد الخطوط البرية والبحرية التي تصل الأسواق الأندلسية بأسواق المغرب والمشرق، وكانت مدن مثل المرية واشبيلية ومالقة تقوم بدور مخازن التصريف التجارية حيث كان يقوم بأعمال الاستيراد والتصدير تجار مسلمون ويهود ومسيحيون، وربما كان التاجر الأندلسي يشتري صبغة النيل أو الصوف أو الحبوب من زميل له مغربي، ويبيع له بالمقابل الحرير الأندلسي والخشب والجواري[34].

ومن بين المنتجات السالفة الذكر، كان التجار الأندلسيون يحملون إلى بلاد المغرب زيت الزيتون والتين المالقي المشهور والأخشاب والزعفران وأصناف من النسيج – كالموشى والسقلاطون وهو نسيج حريري مشغول بالذهب، وكانت مناسج الأندلس تنافس مناسج بغداد في عمله – والفلين والمعادن، وقد كانت بضائع الأندلس مطلوبة في الشرق والغرب، وهو من أكبر ما شجع تجار الأندلس على الخروج في رحلات بحرية إلى كل موانئ البحر المتوسط حتى موانئ الشام، وبفضل هذا النشاط ساد الأندلسيون الحوض الغربي لليحر المتوسط[35].

هذا النشاط التجاري يبرز بوضح في كتاب صورة الأرض لابن حوقل الذي أشار إلى أن التجار الأندلسيين كانوا الأنشط في كل من طبرقة، مرسى الخرز وتنس، ويرجع هذا النشاط التجاري إلى نشاط طريق بحري يربط بين موانئ بلاد المغرب الأوسط وافريقية والذي ارتكز أساسا على مرسى الخرز وبونة، حيث ساهمت هذه الموانئ بقسط وافر في نشأة أهم طريق للملاحة البحرية في البحر المتوسط الذي يمتد من المرية إلى الإسكندرية على الساحل المصري[36].

وكان تجار البحر الأندلسيون يعملون في العادة جماعات تشترك في بناء المراكب وتسييرها والاشتراك في التجارة وما إلى ذلك، وهم يعملون على أساس المشاركة أو المناصفة، وكانوا إذا نزلوا ميناءا بعيدا تصرفوا جماعة وانتخبوا من بينهم رئيسا يتفاوض باسمهم مع السلطات المحلية، وقد أنشأ

أولئك التجار الأندلسيون جاليات لهم في معظم موانئ المغرب وكانوا يشتركون في إقامة المخازن والمراسي، وإليهم يرجع الفضل في تعمير الكثير من موانئ المغرب[37].

الأندلسيون وتأسيس المدن الساحلية للمغرب الأوسط: كان لتزايد نشاط البحارة الأندلسيين في حوض البحر المتوسط أثر إيجابي على تطور ونمو حركة العمران في المغرب الأوسط، وذلك ببناء وإعادة إحياء مدن قديمة أصبح لها شأن معتبر خصوصا على الصعيد الاقتصادي، ومن الملاحظ أن العلاقات والصلات خصوصا الاقتصادية منها، ما بين الأندلسيين وسكان السواحل المغربية قد أخذت تزداد منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وبلغت الذروة في القرن السادس الهجري بعد أن أصبحت العدوتين كيانا موحدا تحت سلطة الموحدين[38].

وقد أعطتنا الجغرافية الوصفية التي وردت في كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ق4هـ/10م) وفي كتاب المسالك والممالك للبكري (ق5هـ/11م) معلومات مهمة حول نشاط الواجهة البحرية لبلاد المغرب الأوسط، وكيف كانت مرتبطة بفضاء مغربي أندلسي[39]، حيث يتطرق هذين الجغرافيين خصوصا – بحكم قربهما من الفترة الزمنية التي تأسست خلالها هذه المدن – إلى رصد لأهم مدن الساحل المغربي، وأثناء التعريف بهذه المدن غالبا ما تتم الإشارة إلى مؤسسيها أو المشاركين في ذلك، وبالتالي نجد معلومات قيمة حول الدور الذي لعبه الأندلسيون في هذا المجال.

من بين مدن المغرب الأوسط التي شارك الأندلسيون في تأسيسها تنس ووهران وأسلن من المدن الساحلية، فالعلاقات الودية المتميزة للبحارة الأندلسيين مع قبائل بربرية صديقة، شجع على إنشاء هذه المدن وإعطائها صبغة متميزة دائمة الحضور في تاريخ العمران المغربي، أما نشاط الأندلسيين من غير البحارة فكان أثره إيجابيا وواضحا في المسيلة مع بني حمدون أمرائها، ودلس مع بني صمادح أمراء المرية الذين أقطعهم الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس أرضها[40].

وبالعودة إلى كتب الجغرافيا نجد العديد من التفاصيل حول نشأة هذه المدن وكيف كان للأندلسيين الفضل الأكبر في تأسيسها، وسنركز في هذه الورقة على أهم ثلاث مدن ساحلية شارك الأندلسيون في بنائها وتأسيسها، وهي:

تنس: تعد مدينة تنس من أهم المراكز التجارية الساحلية في المغرب الأوسط، وقد ارتبطت منذ نشأتها في القرن الثالث الهجري بالتواجد الأندلسي، فكان معظم سكانها من الأندلسيين، ولم يكن هذا بالشيء الغريب فقد عقدت أواصر الصداقة والمودة بين كل من بني أمية بالأندلس، وحكام الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، كما جمع بينهما العداء المشترك للخلافة العباسية، وأسفر هذا التقارب السياسي عن علاقات تجارية وطيدة بين الجانبين[41]، حيث تردد في القرنين الثاني والثالث للهجرة تجار البيرة [42] وتدمير[43] ومختلف مدن الأندلس على تنس بشكل كثيف[44].

وعند إلقاء نظرة أولية على كتب الجغرافيا التي قامت بوصف هذه المدينة، نجد أول إشارة إليها عند الاصطخري المتوفى بعد سنة 340هـ/951م، وذلك في قوله: «وأما تنس فهي مدينة كبيرة وهي عدوة إلى الأندلس»[45]، ويوافقه ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ/977م في ذلك فيقول: «... وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها»[46].

وعن موقع المدينة والتعريف بها يقول البكري: «مدينة تنس بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى... بها مسجد جامع وأسواق كثيرة ... وبها حمامات، وتنس هذه التي تسمى تنس الحديثة، وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة»[47].

من هذا النص نستخلص بأن مدينة تنس هي مدينة قديمة تأسست قبل الفتح الاسلامي، وأن المسلمين قد استحدثوا مدينة جديدة إلى جانب القديمة، والتي كانت على شكل حصن، وهو ما يؤكده الادريسي في قوله: « مدينة قديمة أزلية وعليها سور حصين»[48].

والمعروف عن هذه المدينة أنها كانت إحدى المحطات والمراكز التجارية الفينيقية في بلاد المغرب، وأن اسمها القديم هو كارتيناي (Cartennae)[49]، وهذا يعني أن المسلمين قد بنوا وأسسوا مدينة جديدة إلى جانب المدينة الفينيقية القديمة، وذلك بمساعدة الأندلسيين سنة 262هـ/875م، وأخذت تسمية تنس الحديثة.

والراجح حسب الكتابات الجغرافية أن موقع هذه المدينة قد جذب إليه المسلمين في وقت مبكر، حيث يذكر البكري من سكان المدينة إضافة إلى أهل الأندلس، أن أصحابها هم من ولد

ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب[50]، ونفهم من نصه أن هذه المدينة كانت إحدى المدن التابعة للإمارات العلوية التي تأسست بالمغرب الأوسط في أواخر القرن الثاني للهجرة، باعتبار أن سكانها وأصحابها هم من العلويين من أبناء الحسن بن سليمان بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[51]، غير أنه بالعودة إلى كتاب البلدان لليعقوبي وهو المصدر الجغرافي الوحيد الذي يتحدث بإسهاب عن الإمارات العلوية بالمغرب الأوسط ويصف المدن التابعة لها[52]، لا نجد عنده أي ذكر لهذه المدينة على الرغم من تتبعه لجميع المدن العلوية بالمغرب الأوسط الغربي، والظاهر أن مدينة تنس شكلت إحدى المدن أو الحصون الكثيرة المتصلة بالمدن الكبرى للعلويين مثل متيجة ومدكرة والخضراء وسوق ابراهيم وغيرها.

من جهة أخرى نجد لدى البكري الكثير من التفاصيل حول بناء هذه المدينة، والدور الذي لعبه الأندلسيون في ذلك، حيث يقول: «وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركدن وابن عائشة والصقر وصهيب وغيرهم، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة وأهل تدمير... وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، فتجمع إليهم بربر من هذا القطر، ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى، ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة، فأجابوهم إلى ذلك، وانتقلوا إلى القلعة وخيموا بها وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم»[53].

وعن تطور هذه المدينة وتزايد عدد سكانها يواصل البكري قائلا: «فلما دخل عليهم الربيع– يقصد أهل الأندلس– اعتلوا واستوبئوا الموضع، فركب البحريون من أهل الأندلس مراكبهم، وأظهروا لمن بقي منهم أنهم يمتارون، فحينئذ نزلوا قرية بجانة، وتغلبوا عليها، ...ثم إن الباقين بتنس لم يزالوا في تزيد ثروة وعددا، ورحل إليهم أهل سوق ابراهيم[54]، وكانوا في أربعمائة بيت، فوسع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم، وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم»[55].

وقد ازدهرت تنس منذ أن أعاد الأندلسيون تمصيرها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فأصبحت مركز حط وإقلا ع بحري ومنطلقا للتجارة في منتجات الدولة الرستمية، وقد زاد من ازدهارها غناها من الناحية الزراعية ووقوعها على نهر أقيمت عليه الأرحاء، فانتعشت بها

التجارة الداخلية والخارجية وانتشرت بها الأسواق، وعرفت برخص أسعارها وكانت تنطلق منها المتاجر إلى سائر أقطار البحر المتوسط لا سيما إلى الأندلس[56].

وهو ما أشارت إليه أغلب المصادر الجغرافية اللاحقة التي أكدت على غنى هذه المدينة خصوصا فيما يتعلق بالجوانب الزراعية والتجارية، وكأمثلة على ذلك يقول الادريسي: «... وبها فواكه وخصب وإقلاع وحط، ولها أقاليم وأعمال ومزارع، وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب»[57]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار يصف مدينة تنس: «مدينة مسورة حصينة... بها مسجد جامع وأسواق حفيلة كثيرة، وهي كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد افريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم»[58]، ويوافقه في ذلك ابن سعيد المغربي قائلا عن المدينة: « مشهورة بكثرة القمح، ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها، وهي الآن قاعدة مغراوة من زناتة»[59].

وهكذا استمرت تنس في ريادة المحطات التجارية للمغرب الأوسط في العهدين الحمادي والموحدي على السواء بفضل جهود الأندلسيين ومهارتهم التجارية التي أخذها عنهم مع مرور الوقت سكان تنس[60].

وهران: لم تكن تنس هي المدينة الساحلية الوحيدة ذات الشهرة والأهمية التجارية في المغرب الأوسط، فقد حاكتها في نفس ظروف التأسيس مدينة وهران التي قام ببنائها في سنة 290هـ/902م جماعة من الأندلسيين البحريين[61]، حيث اقترنت نشأتها بمستلزمات التجارة البحرية بين العدوتين الأندلسية والمغربية وبالبنية القبلية في آن واحد، فقد اتفق أصحاب الأرض، وهم نفزة وبنو مزقن مع الأندلسيين على إنشاء المدينة[62].

وفي كتب الجغرافيا ما يوضح ظروف تأسيس مدينة وهران والدور الذي لعبه أهل الأندلس في ذلك، حيث يقول البكري: «مدينة حصينة ذات مياه سائحة، ولها مسجد جامع، بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مُسْقن، وهم من أزداجة[63] سنة تسعين ومائتين»[64].

ويوافقه في ذلك صاحب كتاب الاستبصار في قوله: «مدينة على ضفة البحر، بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى، بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو مسكين نحو سبعة أعوام»[65].

أما نواة هذه المدينة فهي عبارة عن قرية بربرية ضعيفة اسمها إيفري، ومعناها الكهوف[66]، وينتمي سكانها القدماء إلى عدد من فروع قبيلتي مغراوة ونفزاوة البربريتين، ويقال إن مرساها البحري كان يدعى المرسى الإلهي، ويعود تأسيسها إلى ما قبل عهد الفينيقيين، وكثيرا ما كان يطلق عليها اسم المرسى الصغير تمييزا لها عن المرسى الكبير[67].

ومن كتب الجغرافيا التي أشارت إلى قدم المدينة، كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان، وذلك في قوله: «مدينة كبيرة... بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط»[68].

وقد استمرت هذه القرية الصغيرة في النمو والتطور ببطئ، وشهدت في نهاية القرن الثالث الهجري تطورا واسعا وكبيرا في عمرانها ونشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية بعد أن وصل إليها عدد كبير من مهاجري الأندلس، حاملين معهم خبراتهم المعمارية ومهاراتهم الفنية والصناعية وأنشطتهم التجارية[69].

وقد وقع الاختيار على موقع وهران على وجه التحديد لتميزه بصلاحيات جغرافية عديدة أهلته ليكون مرسى بحريا وتجاريا هاما، فوهران تقع في حضن جبل حصين، وهي تقابل مدينة المرية على الساحل الأندلسي الشرقي ومسافة البحر بينهما بسيطة[70]، وزاد من أهميتها مرساها الكبير الذي لا مثال له بين المراسي في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، كما عرفت بأنها مركز لتموين السفن التجارية القادمة إليها[71].

وهو ما يؤكده كل من الاصطخري وابن حوقل في كتابيهما، فعن قرب المسافة بين مدينة وهران والساحل الأندلسي يقول الاصطخري عن هذه المدينة: «بحرية مسورة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة»[72]، وعن أهمية مرساها يقول ابن حوقل: «ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى[73] فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن وعليها سور وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة فيها من جميع الفواكه، ...وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال»[74].

غير أن مدينة وهران قد تعرضت سنة 297هـ/909م إلى التخريب في شهر ذي الحجة من نفس السنة، ليتم إعادة بنائها في السنة الموالية فرجعت أحسن مما كانت عليه حسب تعبير صاحب كتاب الاستبصار في قوله: «... ثم إنه زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثأرا بينهم وبين

بني مسكين فأبى من كان فيها من الأندلسيين وكان عندهم جماعة منهم، فنصبوا عليهم الحرب، فلما ضيقوا عليهم هربوا بني مسكين في الليل، وتغلب البربر المحاصرون لها عليها وأخرجوا من كان فيها، وأضرموا نارا فخربت وهران عند ذلك، ثم تراجع الناس إليها وبنوا فعادت أحسن مما كانت»[75].

وفي سنة 298هـ/910م أعيد بناء المدينة من طرف حميد دواس بن صولات عامل تيهرت الذي عين محمد بن أبي عون واليا عليها، وهي الأحداث التي يعرفنا بها البكري في قوله: «... ثم عاد أهل وهران إليها في السنة بعدها، سنة ثمان وتسعين ومائتين بأمر حميد دواس بن صولات ويقال داود عامل تيهرت، وابتدؤوا بنيانها في شعبان من هذه السنة، فعادت أحسن مما كانت عليه، وولى عليهم داود بن صولات اللهيصي محمد بن أبي عون، فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن حال إلى أن أوقع يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بأزداجة... وفرق جماعتهم... سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، فدخل يعلى مدينة وهران، وملكها ثم نقل أهلها إلى مدينته المعروفة (يقصد مدينة افكان[76])، وخربت مدينة وهران وحرقها، وبقيت كذلك سنين، ثم تراجع الناس إليها وبنيت»[77].

وهكذا جسد طور تأسيس مدينة وهران التفاعل الذي حصل بين المغاربة النازلين بهذه الربوع والأندلسيين لإنشاء مدينة مستحدثة [78]، سيكون لها دور اقتصادي كبير في تاريخ المغرب الأوسط، وهو ما أشارت إليه معظم المصادر الجغرافية أثناء وصفها لهذه المدينة، ومدى ما وصلت إليه من تطور خاصة من الناحية التجارية، إضافة إلى ارتباطها بالساحل الأندلسي.

من ذلك قول الادريسي: «ووهران على مقربة من ضفة البحر الملح، ...وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارات نافقة، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها ميرة ساحل الأندلس، ...ولها على ميلين منها المرسى الكبير، وبه ترسي المراكب الكبار والسفن السفرية، وهذا المرسى يستر من الريح، وليس له مثيل في مراسي حائط البحر من بلاد البربر، ...وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب، والعسل بها موجود، وكذلك السمن والزبدة والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير، ومراكب الأندلس إليها مختلفة»[79].

يتضح من نص الإدريسي التطور والازدهار الذي عرفته مدينة وهران على الرغم من أنها تعرضت للتخريب والحرق زمن تأسيسها، ولكن سرعان ما عاد أهلها للبناء والتشييد، وهذا راجع إلى الأهمية الاستراتيجية للمدينة من جهة، ولارتباط تجارتها بتجارة الأندلس من جهة أخرى،

وستعرف هذه المدينة تطورا معتبرا في ظل الموحدين حتى أنها أضحت إحدى أهم المحطات التجارية في تجارة هذه الدولة مع الدول الأوربية.

ولنا أن نتصور مدى ما تحقق للمغرب الأوسط من شهرة وصيت تجاري في حوض البحر المتوسط بعد بناء هاتين المدينتين الساحليتين– تنس ووهران– على يد البحريين الأندلسيين، لا سيما إذا ما عرفنا أن ساحل المغرب الأوسط لم يخل من وجود عشرات المراسي المحيطة بهاتين المدينتين، مما أدى إلى انتعاش حركة ورود السفن التجارية للتمون بالمياه والتزود بالمؤن، وعودتها محملة بالبضائع المشرقية والمغربية من سواحل المغرب الأوسط بعد إفراغها لحمولتها من البضائع القادمة من السواحل الأندلسية[80].

وقد أفرد البكري قسما خاصا للحديث عن أهم هذه المراسي[81] التي كانت مشهورة وذائعة الصيت في المغرب الأوسط منذ القرن الثالث الهجري موضحا مدى قرب هذه المراسي من المدن والموانئ الأندلسية، مما يؤكد عمق التبادل البحري بين المغرب الأوسط والأندلس، وأيضا يشير إلى ثقل الدور الذي لعبه الأندلسيون في تجارة المغرب الأوسط.

تدلس: لم تكن تدلس من المدن أو المراسي المشهورة قبل القرن السادس الهجري، حيث لا نجد لها ذكرا في مصنفات الأدب الجغرافي العائدة إلى الفترة السابقة، وأول من ذكرها الادريسي (ت 560هـ/1166م)، ومن المرجح أنها كانت تابعة لمدينة بني جناد[82] على مقربة من مدينة ومرسى الدجاج[83] التي تبعد عنها بـ24 ميلا، وهي إحدى المدن الساحلية التي توجد بها جالية أندلسية من البحارة والتجار ضمن مجالات كتامة[84].

يضع الادريسي مدينة تدلس في الجزء الأول من الاقليم الثالث بحسب التقسيم الذي وضعه لكتابه– وهو تقسيم الكرة الأرضية إلى سبعة أقاليم وكل إقليم إلى عشرة أجزاء من الغرب إلى الشرق– وبالتحديد يضعها ضمن مدن المغرب الأوسط فيقول: «وفيه– يقصد الجزء الأول من الاقليم الثالث– من بلاد الغرب الأوسط، تنس وبرشك وجزائر بني مزغنا وتدلس وبجاية وجيجل ومليانة والقلعة والمسيلة والغدير ومقرة ونقاوس وطبنة والقسنطينة وتيجس وباغايا وتيسفاش ودار مدين وبلزمة ودار ملول وميلة»[85].

وذكر الادريسي لمدينة تدلس ضمن هذا النص الذي يعدد فيه مدن المغرب الأوسط للدليل على أهمية هذه المدينة، التي استقطبت أنظار الجغرافيين، كما جذبت إليها أهل الأندلس وخاصة

التجار منهم، خصوصا وأن المدن والمراسي المجاورة لها مثل مرسى الدجاج ومرسى بني جناد قد كانت عامرة بالأندلسيين.

كما يصفها على الشكل التالي: «ومن مدينة مرسى الدجاج إلى مدينة تدلس أربعة وعشرون ميلاً، وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات، وبها رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجودة كثيراً، وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة، ويخرج من أرضها إلى كثير من الآفاق، ومن تدلس إلى مدينة بجاية في البر سبعون ميلاً وفي البحر تسعون ميلاً»[86].

من هذا النص يظهر ارتباط مدينة تدلس بمدينتي مرسى الدجاج وبجاية، وهي من المدن التي بها جالية أندلسية كبيرة، وهو ما يؤكد على الدور الذي لعبه هؤلاء في بناء وإعادة إحياء مدن الساحل المغربي، وكذا تنشيط الواجهة البحرية للمغرب الأوسط بظهور مراسي جديدة لم تكن معروفة في السابق.

كما أظهرت كتابات الادريسي الدور الذي بدأت بجاية تلعبه في تنشيط الحركة التجارية بالمغرب الأوسط، وكيف ارتبطت تجاريا بمراسي جديدة ومنها مرسى تدلس، خصوصا بعد استقرار بني صمادح بها[87].

وهكذا اقترن ظهور تدلس كمدينة وازدهارها الاقتصادي والمعماري والفني بنزول بني صمادح بها، حيث أقطعهم الأمير الحمادي المنصور أرض تدلس على أساس التمليك باعتبارها أشبه ما تكون بأرض الموات، فعملوا على تغيير حالها إلى الأحسن بنقل معارفهم وتجاربهم الأندلسية في البناء والعمارة وفلاحة الأرض وتنمية الأموال بالتجارة، كما عملوا على بعث الحركة العلمية والثقافية للمنطقة، إذ أصبحوا قبلة للوافدين عليهم من الأدباء والشعراء[88].

هذه بعض نماذج مدن سواحل المغرب الأوسط التي كان للأندلسيين الدور الأساس في بنائها وإعادة تعميرها من جهة، وفي تطويرها وازدهارها من خلال نشاطهم التجاري بها من جهة أخرى، إضافة إلى مدن أخرى مثل مدينة أسلن الواقعة شرقي أرشقول، والتي تم إعادة بنائها وتجديدها من طرف المنصور بن أبي عامر، وهو نفسه الذي جدد بناء مدينة فكان السابقة الذكر، مع الإشارة إلى عشرات المدن والمراسي التي استقر بها الأندلسيون في سواحل المغرب الأوسط، وساهموا في تنشيطها خصوصا من الناحية الاقتصادية، وفي الأخير أفرزت هذه الحركة التجارية والنشاط البحري

عشرات الأمثلة من التبادل الحضاري بين شعوب هذين القطرين كنوع من التأثير المتبادل وتحقق قدر كبير من الالتقاء الحضاري.

الهوامش:

1: هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأموي: رابع ملوك بني أمية في الأندلس، ولد في طليطلة سنة 176 هـ وبويع بقرطبة سنة 206 هـ، وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة، فشيد القصور وجلب للماء العذب إلى قرطبة، واتخذ السكة بها وضرب الدراهم باسمه، ونظم الجيش واستكثر من الأسلحة والعدد، كانت أيامه أيام سكون وعافية، له غزوات كثيرة، أديبا ينظم الشعر، مدة ولايته 31 سنة و3 أشهر، ووفاته بقرطبة سنة 238 هـ / 852 م، الزركلي خير لدين، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج3، ص305، وانظر ترجمته في الحميدي أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف ولترجمة، مصر، 1966، ص10، المقري أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1949، ج1، صص322–328، ابن الفرضي عبد الله، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966، ص5، ابن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مكتبة المثنى ببغداد، مؤسسة الخانجي بمصر، ص16.

2: مدينة كبيرة عظيمة بالأندلس، عملها متصل بعمل لبلة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخا، وكانت قديما قاعدة ملك الروم، واشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه، ومما فاقت عليه غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ نهر عظيم تسير فيه المراكب المثقلة، يقال له وادي الكبير، وفي كورتها مدن وأقاليم عديدة، الحموي شهاب الدين، معجم البلـدان، دار صادر، بيروت، 1977، مج1، ص195، وانظر البكري أبو عبيد، المسالـك والممالـك، تحقيـق جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، مج2، صص390–392، مجهول، جغرافية وتاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر، 2013، صص145–150.

3: هي غزوة بحرية قام بها النورمان على سواحل الأندلس في مستهل ذي الحجة سنة 229 هـ، وبالضبط أمام ساحل مدينة لشبونة، ثم أغاروا على ساحل إقليم شذونة، ميناء قادس، مدينة اشبيلة وغيرها من سواحل الأندلس، لمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذاري المراكشي، البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، صص87–88، العذري أحمد بن عمر بن أنس، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، صص98–99، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب للمصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، صص78–81، ابن سعيد للمغربي، للمغرب في حلى للمغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط4، دار للمعارف، القاهرة، د.ت، ص49، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، صص83–84.

4: السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، صص 147–148.

5: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار، الحموي، المصدر السابق، مج4، ص: 30، وانظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطـار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 02، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص ص: 391–392.

6: في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسوق وحط وإقلاع، بينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع وعليه بساتين وجنات وعمارات متصلة والسفن تدخل نهرها وسورها مبني بالحجر والطوابي، ولها أربعة أبواب، وهي من أمصار الأندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة، نفس المصدر، ص: 97.

7: سالم والعبادي، المرجع السابق، ص: 150، وانظر: أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 229 وما يليها.--- 8: رفيق خليفي، « الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط »، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا"، جامعة الجزائر 2، 07-08/12/2009، ص: 133.

9: هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية، كنيته أبو العاص، صفته: آدم شديد الأدمة، طويل، أسمر، نحيف، بنوه تسعة عشر، بناته إحدى وعشرون، وزرائه وقواده خمسة، قضاته سبعة، كتابه ثلاثة، حاجبه عبد الكريم بن واحد بن المغيث، توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة 206 هـ وكان عمره 52 سنة، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1973، مج1، ص ص: 479-480، وانظر ترجمته في: جذوة المقتبس، ص: 10، نفح الطيب، ج1، ص ص: 317-322، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 05، بغية الملتمس: ص: 16، البيان المغرب، مج2، ص: 68، الكامل في التاريخ، مج5، ص ص: 308-309.--- 10: سالم والعبادي، المرجع السابق، ص: 151.--- 11: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص: 135.

12: نفس المرجع، صص133-134.--- 13: رفيق خليفي، المرجع السابق، صص132-133.---14: سالم والعبادي، المرجع السابق، صص174-176---15: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص: 238.

16: سالم والعبادي، المرجع السابق، ص: 57.---17: سالم، تاريخ للمسلمين، ص237-238.---18: ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص: 243.---19: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 134.

20: عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب، دار هومه للطباعة، النشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 05.

21: إبراهيم السيد الناقة، دراسات في تاريخ الأندلس الاقتصادي (الأسواق التجارية والصناعية في الأندلس، في عصري الخلافة الأموية والخلافة الموحدية)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2010، ص: 343.---22: فيلالي، المرجع السابق، ص111-112.---23: نفس المرجع، ص115.---24: نفسه، صص120-121.--- 25: سامية مصطفى مسعد، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ص: 168.

26: فيلالي، المرجع السابق، ص: 05.---27: فاطمة بلهواري، النشاط الاقتصادي في بلاد الغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري / 10 م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي الوسيط، جامعة وهران، 2004-2005، ص: 331.

28: ابراهيم السيد الناقة، المرجع السابق، ص: 347.---29: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص: 293.

30: بلهواري، المرجع السابق، ص: 336.---31: خليل ابراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، 2000، ص: 179.---32: نفس المرجع، نفس الصفحة.---33: فيلالي، المرجع السابق، ص: 120.

34: أوليفيا ريمي كونستبل، « التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية »، كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس: الفن والعمارة، التاريخ الاجتماعي، التاريخ الاقتصادي، الفلسفة، الدراسات الدينية، العلم والتكنولوجيا والزراعة، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ج2، ص: 1063.

35: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص293.--36: علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص140.--37: مؤنس، المرجع السابق، ص293.--38: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص138، 141.---

39: علاوة عمارة، « للموانئ الجزائرية من خلال مشروع أطلس موانئ ومسالك العالم الإسلامي الوسيط »، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا"، جامعة الجزائر 2، 07-08/12/2009، ص: 123.---40: خليفي، المرجع السابق، ص ص: 141-142.

41: سحر السيد عبد العزيز سالم، أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2006، ص: 147.--- 42: من كور الأندلس جليلة القدر، أسسها عبد الرحمن بن معاوية وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب، ومدينة إليرة بين القبلة والشرق

من قرطبة، حولها أنهار كثيرة، وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فخربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة، وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال، الحميري، المصدر السابق، ص: 28، ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص: 93 وما يليها، الحموي، المصدر السابق، مج1، ص ص: 244–245، جغرافية وتاريخ الأندلس، ص ص: 163–165.

43: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، لها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتجاور تدمير الجزيرتان وجزيرة يابسة، الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص: 19، وانظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص: 131–132، ابن سعيد، المصدر لسابق، ج2، ص: 271 وما يليها.

44: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 142.---45: مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 38.

46: كتاب صورة الأرض، ط2، دار صادر، بيروت، د.ت، ص: 77.---47: المسالك والممالك، ص ص: 241–242.

48: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي أبي عبد الله الشريف، تحقيق: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 153.--- 49: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1982.

50: المصدر السابق، ص: 242.---51: اليعقوبي، البلدان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص: 191.

52: نفس المصدر، صص191–196.---53: المصدر السابق، ص242.---54: ابن حوقل، المصدر السابق، ص90، وانظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

55: المصدر السابق، ص242–243.---56: سحر سالم، المرجع السابق، ص147–148.--- 57: المصدر السابق، ص: 153.

58: مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر للمغربية، الدار البيضاء، 1985، ص: 133.--- 59: ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص: 142.

60: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 143.---61: سحر سالم، المرجع السابق، ص: 148.

62: محمد حسن، « المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الاحتلال الاسباني (904–1509) »، الملتقى الدولي "الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا" جامعة الجزائر 2، 07–2009/12/08، ص: 589.

63: تعرف كذلك باسم وزداجة، وهي من القبائل البرنسية، كانت ازداجة في أول أمرها وافرة العدد، نافذة الشوكة، ثم تقلصت أعدادهم بسبب الحروب، وقد تمكنت ازداجة بعصبيتها المتنامية في عصرها النهبي، من تشييد دولتها في نكور بعد الإطاحة بدولة بني صالح، ولكنها لم تدم طويلا إذ أسقطتها جيوش لمتونة سنة 460 هـ، ومن بطون ازداجة: مسطاسة، ومسكن، أما بنو مسكن وبحكم وجودهم بجوار مدينة وهران، فقد اشتدت الضغوط عليهم من طرف الطامعين في الاستيلاء على تلك المدينة الهامة، وفي الأخير انتهى الحال بازداجة إلى الشتات، والاندثار في ظل الدول القوية، بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها، مواطنها، أعيانها، ط4، دار الكتاب العربي، 2010، ص ص: 4–5، لمزيد من التفاصيل حول هذا القبيل انظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص ص: 495–498، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص 117 وما يليها.

64: المسالك والممالك، ص: 252.--- 65: الاستبصار، ص133.--- 66: تالية سعدو، مدينة وهران من خلال المصادر الجغرافية، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 5، 2012، ص: 135.---67: يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، عالم للمعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 22.

68: الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، ط 02،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج 2، ص: 30.--- 69: بوعزيز، المرجع السابق، ص23.---70: سحر سالم، المرجع السابق، ص148.---71: نفس المرجع، ص150.---72: المصدر السابق، ص:229.

73: من مراسي المغرب الأقصى، على طريق الساحل من مدينة سبتة إلى طنجة، وهو مرسى مأمون، وفيه نهر يريق في البحر، وكان عليه حصن، البكري، المصدر السابق، ص، 287.

74: المصدر السابق، ص77–78.---75: الاستبصار، ص133–134، وانظر: البكري، المصدر السابق، ص252.

76: يضعها ابن حوقل في الطريق من فاس إلى المسيلة، وهي مدينة لها أرحية وحمامات وقصور وفواكه، وكانت ليعلى بن يحمد، ووواديها يشقها بنصفين، ومنها إلى تاهرت ثلاث مراحل، المصدر السابق، ص89، وانظر: الادريسي، المصدر السابق، ص151–152، الاستبصار، ص135.-- 77: المصدر السابق، ص252–253، ولمزيد من التفاصيل انظر: بوعزيز، المرجع السابق، صص23–25.---78: محمد حسن، المرجع السابق، ص: 587.--- 79: المصدر السابق، ص153.---80: سحر سالم، المرجع السابق، ص149–150.

81: وجد بالمغرب الأوسط مجموعة من المراسي يعددها البكري في جزء خاص حيث يحصي منها حوالي اثنان وثلاثون مرسى، لمزيد من الاطلاع، انظر: البكري، المصدر السابق، صص266–269.---82: مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل، ومنها إلى مرسى الدجاج، البكري، المصدر السابق، ص246، وانظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص76، الادريسي، المصدر السابق، ص173.

83: مدينة أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، وبها عيون طيبة يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة، وبشرقيها مدينة بني جناد وهي أصغر منها، البكري، المصدر السابق، ص: 246، وانظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص: 76، الادريسي، المصدر السابق، ص159–160.---84: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص: 146.---85: المصدر السابق، ص: 124.

86: نفس المصدر، ص: 160.---87: علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط ...، ص142–143.---88: رفيق خليفي، المرجع السابق، ص ص: 147–148.

Abstract: This article aims to study the impact of maritime activity Andalusian in Mediterranean Basin; in the form of some coastal cities of Maghreb central, based on the geographical sources, as containing a great deal of geographical descriptions of cities and the coast of Maghreb central, and provide us with important description for her founders.

Since the early periods of the Middle Ages, the Andalusians was a broad activity in the Mediterranean, following the emergence of fleet Andalusian, this activity was increased, as a power of Umayyad fleet was created a solid base for the movement of traders and sailors of Andalusia, to provide them with the security of the sea, who's get him a great experience in marine navigation enabled them access to several beaches, including the shores of Maghreb central.

With the arrival of the Andalusians to the coast of Maghreb central and especially traders of them, they were involved with the country's population in the establishment of the deposit, ports, and linked them distinct and friendly relations with the Berber tribes, which encouraged the construction and revive the ancient cities became her a considerable cities, especially on the economic front, including Tenes, Oran, Eslen and coastal cities, as well Tadles city who's the Prince Hammadide offered to Somadih, the prince of Almería, these cities became the most important commercial centers of the Mediterranean sea grace to the activity of the Andalusians merchants and sailors.